

جرائم الشركات الاحتكارية الفرنسية في الكونغو الفرنسي

سلوی اولطاش

جامعة الجزائر 02

salouaoultache15@gmail.com

تاريخ القبول: 2025/06/02

تاريخ الاستلام: 2024 / 01 / 06

ملخص:

تمكنت فرنسا عن طريق المستكشف الإيطالي الأصل " بيير سافورنان دي برازا" من عقد عدة اتفاقيات ودية مع زعماء القبائل المحلية في حوض الكونغو، وبواسطتها فرضت فرنسا السيطرة الاستعمارية عليها، ومنحت للشركات الاحتكارية امتيازات سياسية وأراضي واسعة في المنطقة، أجبرت السكان المحليين للعمل لصالحها بنظام السخرة وتسببت في انتهاكات وجرائم خطيرة، دفعت الرأي العام الفرنسي للنظر في ذلك ما أجبر فرنسا بإرسال دي برازا في رحلته الخامسة ليعد تقريراً على صحة الأخبار المتداولة في الصحف، حيث أكد ذلك دي برازا الذي توفي قبل تحريره للتقرير .

الكلمات المفتاحية: الاستعمار؛ السخرة؛ الشركات الاحتكارية؛ جرائم؛ الكونغو؛ فرنسا.

Abstract:

Trough the explorer of Italian origine, pierre savernan de baraza, France was able to conclude several friendly agreements with local tribal leaders in the Congo basin, through which France imposed colonial control over it, granted monopolistic companies political privileges and forced the local population to work for it with a system of forced labor. It caused serious violation and crimes, which prompted French public opinion to consider this, which forced France to send P. Brazzaon his fifth trip to prepare a report on the veracity of the news circulating in the newspapers, as this was confirmed P. Brazza, who he died before writing the report.

Keywords: *colonization*; Congo; crimes ; forced labor; France; Monopoly companies.

مقدمة

تناولت هذه الدراسة جرائم الشركات الاحتكارية الفرنسية في الكونغو الفرنسي وهي المنطقة التي تضم حاليا الدول التالية: الغابون، جمهورية إفريقيا الوسطى، جمهورية الكونغو الشعبية، وقد بدأ التوسع الاستعماري فيها نتيجة مجهودات شخصية من طرف المستكشفين الجغرافيين، أمثال سافورنان بيير دي برازا، (أنظر الاحالة رقم 1) وبعد بسط فرنسا سيطرتها على المنطقة وترسيم الحدود التي منحها لها مؤتمر برلين الثاني، منحت للشركات التجارية الاحتكارية امتيازات سياسية وإدارية والتي استعبد رؤساءها السكان المحليين مارسوا انتهاكات وجرائم في حقهم مما دفع الرأي العام العالمي للمطالبة بالتحقيق في ما يحدث في الكونغو.

وتتمثل أهداف الموضوع في إمطة اللثام عن الانتهاكات الفرنسية في مستعمراتها خاصة في الكونغو الفرنسي، وفضح جرائم الشركات الاحتكارية والتي كان دورها الاستعمار وتسخير السكان بدل التنمية الاقتصادية.

وعليه نطرح الإشكالية التالية:

- ماهي جرائم الشركات الاحتكارية الفرنسية في الكونغو؟ وكيف تمت؟ ومن هم المسؤولين عنها؟ وكيف كان موقف الجمهورية الفرنسية منها؟

من هذا المنطلق، تتبعنا الخطوات التحليلية في دراسة الموضوع: واعتمدنا المنهج التاريخي الذي يقوم على سرد وتحليل الأحداث وتسلسلها وربطها بالسياق التاريخي، للتحكم في عملية جمع المعلومات عن الأحداث والوقائع التاريخية، وفهمها، والتأكد من صحتها، واستخلاص النتائج العامة منها.

- والمنهج التحليلي، لنقد بعض الآراء وتحليلها، وتصحيح المفاهيم والأخطاء المتمثلة في النظرة الفرنسية إلى المنطقة ووصفها بأدغال إفريقيا، وسبب تواجدها في المنطقة هو نشر الحضارة متحركة للمعالم الحضارية التي عرفتها المنطقة، وذلك من خلال أداة التحليل التاريخي وخطة العمل العلمي.

- إضافة إلى المنهج الوصفي، في وصف السياسة الاستعمارية الفرنسية في حوض الكونغو والمتمثلة في جرائم وإرهاب المطاط ونظام السخرة التي استخدمتها بهدف بسط نفوذها في المنطقة واستنزاف ثروات المنطقة بطرق لا إنسانية.

أولا: منطلقات تاريخية:

الكونغو الفرنسي هي المنطقة الواقعة بين الكونغو والأجوية Ogooué، تشمل حوض كويلو Quillou أو نياري Niari ويشمل ثلاثة أنهار: نهر الغابون، نهر الأوجويه، ونهر كويلو الذي يربط بين مدينة ستانلي بول والمحيط الأطلسي، إلى شرق أراضي الكونغو الفرنسية تحدها الضفة اليمنى للنهر الكونغو حتى خط الاستواء، وفي هذا المسار نجد ثلاث أكبر فروع من الأنهار تنبع من نهر الكونغو، الليبوبو الذي يربط النهر بالأوجويه، نهر أليما الذي يربط نهر الكونغو بالأوجويه، وسيفيمي جنوبا الذي يفصل شيلوانغو عن المحميات البرتغالية وعن دولة الكونغو الحرة، وأهم فروع نهر الكونغو. (Paul, 1886)

ثانيا: الشركات الاحتكارية الفرنسية في الكونغو الفرنسي:

قامت فرنسا بتفعيل الشركات الاحتكارية التي ستتولى عملية الاستثمار في الكونغو، حيث أنه بعدما تأسست مدينة برازا في عام 1881م وتم تحديد حدودها باستثناء الشمالية في عام 1885م وعام 1887م بعد الاتفاقيات الدولية، وفي عام 1891م اتحدت أراضي الغابون والكونغو تحت اسم الكونغو الفرنسية، ولم يتم ترسيم الحدود الشمالية إلا في عامي 1889 و1890م، وبذلك كانت الحدود مرسومة ولكن بدون الغزو الداخلي، وبعد تدويل الكونغو في مؤتمر برلين الثاني

1884/1885م كان الاستغلال الاقتصادي للكونغو مقصورا على الشركات الأجنبية، بالرغم من حقوق الغزو الذي يمكن أن تطالب به فرنسا لمواطنيها، فمنذ عام 1890م أصبح الرأي العام الفرنسي مدركا للامبالاة السلطات العليا تجاه الكونغو، والمطالبة بإنشاء شركات برأس مال قوي، وقد تم طرح هذه القضية أمام لجنة المستعمرات في سنة 1890م، وفي سنة 1891م أمام المجلس الأعلى للمستعمرات (R. Jeaugeon, 1961).

تمت صياغة مطلب إنشاء الشركات الاحتكارية ما بين 1893م و1895م، مع إنشاء شركة أوجويه العليا SHO وشركة دراسة واستكشاف الكونغو الفرنسي *société d'études et d'exploitation du Congo Français*، وتم تفعيلها بشكل نهائي منذ عام 1899م في الكونغو الفرنسية، حيث أنه تم إعداد المرسوم والمواصفات القياسية التي لا تتعارض مع قرارات مؤتمر برلين من قبل لجنة استشارية بشأن طلبات الامتياز (mers, 2016).

في 24 ماي 1899م، صدر مرسوم وزاري تم فيه منح جميع حقوق الاستغلال الزراعي والغابات والمصانع للشركات عن طريق عقد لمدة 30 سنة، وفي المقابل صاحب الامتياز يدفع رسوم ملكية ثابتة بنسبة 15% من نسبة الأرباح المحققة، وأن يشارك في عملية إنشاء نقاط جمر وكية وخطوط التلغراف، وصيانة السفن البخارية...، وفي نهاية العقد تصبح الأرض التي قام بتطويرها ملكه (mers, 2016).

بين عامي 1899 و1890م، شاركت أربع شركات في هذا العقد استحوذت على 70% من الأراضي حيث تحصلت أصغر شركة وهي شركة نيكيني ونيكيي N'kéni & N'kéme على أراضي بمساحة 1200 كم مربع، بينما استحوذت شركة سلطنة أوبانجي العليا *la compagnie des sultanats du Haut Obanguil* أكبر شركة على مساحة 140 ألف كم مربع (mers, 2016).

21 يناير 1890م تم توقيع اتفاقية بين "برازا Brazza" ممثل مستعمرة الغابون والكونغو الفرنسية، و"كريستوفل Christophel" ممثل شركة *Cih commerciale et industrielle du Congo Français*، حيث تحصلت الشركة على الكثير من الامتيازات في الكونغو منها، الحق في البحث عن المناجم، الصناعة والتجارة، وتم منحها 200 ألف هكتار من أراضي المستعمرة بملكية كاملة (Catherine, 2002).

في خريف 1890م ظهرت أول منظمة استعمارية في فرنسا سميت ب لجنة إفريقيا الفرنسية، وتنظم مجموعة من الإعلاميين والسياسيين ورجال الأعمال، الذين تبنا فكرة تشكيل غرب إفريقيا الفرنسية، وكانت هذه الفكرة مرتبطة خاصة بـ "يوجين إيتيان Eugène Étienne" الذي رسم حدود الإمبراطورية الأفريقية، وكان يسعى لتطور التجارة وتحقيق الربح الاقتصادي في وسط إفريقيا لصالح فرنسا، وذلك عن طريق إسناد الاحتكارات والامتيازات الاقتصادية إلى الشركات التي ستؤدي إلى تطوير المستعمرات وخاصة البنية التحتية الاقتصادية التي لا يمكن للدولة تحملها، وتمكن إيتيان من إقناع البرلمان الفرنسي بإنشاء الشركات الاستعمارية وخاصة منحها امتيازات سياسية دون استشارة البرلمان، وبذلك تستفيد الحكومة من المشروع من خلال دعم هذه الشركات ماليا، وأيضا من خلال تطوير تلك المناطق اقتصاديا (Marc, 1990).

17 نوفمبر 1893م تم صدور مرسوم من طرف وزير التجارة والصناعة والمستعمرات ينص على منح السيد "سليستين دوماس Célestin Daumas" الحق في استغلال الأراضي الواقعة في حوض الأوجويه الأعلى، وتنص الاتفاقية على:

- تمنح مستعمرة الكونغو الفرنسية السيد دوماس حرية التصرف والتمتع الكامل لمدة 30 سنة متتالية بجميع الأراضي المدرجة في الحوض الأعلى للأوجويه ويهدف هذا الامتياز إلى الاستغلال التجاري والصناعي والزراعي. (R. Jeaugeon, 1961)

انطلاقاً من المعطيات فإنه بلغ عدد الشركات التي استفادت من الامتيازات في الكونغو الفرنسي 40 شركة.

ثالثاً: الانتهاكات الفرنسية في الكونغو الفرنسي 1899-1905م:

1- فضيحة جود وتوكي (تفجير الزنوج بالديناميت وحساء الرؤوس الزنجية)

في صباح يوم 16 فبراير 1905م، أثار مقال نشر في جريدة *le matin* الرأي العام الفرنسي حول ما يحدث في الكونغو الفرنسي، حيث جاء في المقال أن المسؤولين الاستعماريين كانوا في حالة سكر في برازافيل قاموا بتفجير شاب زنجي في وسط احتفال عن طريق إدخال خرطوشة من الديناميت في أمعائه، وعمليات الشنق ولف الحبل حول رقاب السكان المحليين لم تعد مجدية بما فيه الكفاية، ... نفس المجموعة التي لا تزال في حالة سكر كانت تستمتع بقطع رأس رجل أسود وطبخه وإجبار أصدقائه وأفراد عائلته بشرب المرق.. (Jules, 1960).

نشر المقال بعنوان عريض "جلاد السود" جريمة استعمارية. ويشمل تفاصيل الجريمة التي قام بها أحد المسؤولين يدعى "توكيه Toqué" بمشاركة مسؤول آخر يدعى "جود Gaud" وجندي، كان ذلك يوم 14 جويلية في منزل مجاور في برازافيل تجمع العديد من الأوروبيين للاحتفال بالعيد الوطني، وكانوا جميعاً من موظفي الخدمة المدنية، ومن بينهم ضابط في القوات الاستعمارية، وبعد وجبة طعام ... اقترح أحدهم وسيلة للتسلية من شأنها أن تمثل هذا اليوم الذي لم شملهم، وكانت الفكرة تجربة تأثير الديناميت على أحد الزنوج، ورحب الجميع بالفكرة وصفقوا لها وأشادوا بها بشدة، ... وقبضوا على شاب وربطوه في ملح البصر الرجل البائس يدعى "بانتينغ"، وتم تثبيت الديناميت بين كتفيه باتجاه دماغه، لقد اعتبر الجلادون أن التجربة ستكون أكثر إقناعاً ...، دوي انفجار وتم إلقاء حطام دموي وأطراف وأمعاء إلى مسافة بعيدة، فهذا جزء من المتعة والتسلية لتوكيه وأصدقائه ...، ثم أصبحت هذه الحادثة موهبة لتمضية الوقت ...، ظهرت لعبة جديدة وهي صنع مرق سيتم دعوة السود في العي لتذوقه، وكان عليهم ببساطة قطع رأس زنجي، ويتذوق الآخرون المرق ليخمنوا أي نوع من اللحوم استخدمت، تم قطع رأس أحد البائسين في كمين وتم استخدام رأسه لإعداد الطعام، والذي تم تقديمه كوليمة، وكان السكان يقضون وقتاً رائعاً حتى والديه حضروا الوليمة ...، وبعد هذه الحادثة قام توكيه بكتابة رسالتين طويلتين إلى أصدقائه في باريس يصف فيها تفاصيل جريمته، إلا أن هذه الرسائل وصلت بطريقة ما إلى وزير المستعمرات والذي أوكل إلى النيابة العامة في برازافيل الشروع في التحقيق (Stéphane, 1905).

هذا المقال أثار الخوف في وسط السلطات الفرنسية من ردة فعل الرأي العام، ولتهدئة الوضع شكلت لجنة تحقيق وكلفتها إلى دي برازا الذي سلم الكونغو إلى فرنسا دون سفك قطرة دماء والذي اشتهر مثل ليفينجستون (أنظر الإحالة رقم 2) بحبه للزنوج. (Jules, 1960)

كان ذلك بهدف أن تثبت أن فرنسا تعمل بشكل أفضل من كونغو الملك البلجيكي الذي أضعفته فضائح المطاط الأحمر أو إرهاب المطاط، وذلك تحسباً منها في حالة ما تم انتزاع أراضي ليوبولد ستتوسع على حسابها.

كانت آخر مهمة لدي برازا في الكونغو، حيث غادر مرسيليا في 05 أبريل 1905م وتوفي في 14 سبتمبر من نفس السنة بحضور زوجته والكابيتين مانجين في دكار إثر عودته من مهمته في الكونغو، بعد أن أصيب بحمى شديدة أجبرته على النزول في دكار (Catherine, Le Rapport Brazza, Rapport et documents (1905-1907), 2014)

2- تقرير دي برازا و جرائم المطاط في الكونغو الفرنسي:

غادرت لجنة التحقيق في الكونغو الفرنسي التي ترأسها دي برازا بجانبه المفتش العام للمستعمرات هوارو دسرويسو، وفليسيان شالاي ممثل وزير التعليم العام، وعضو مجلس وزراء المستعمرات، ومندوب وزير الخارجية، مرسيليا في 05 أبريل 1905، ووصلوا إلى ليبر فيل في 29 أبريل مهمتهم في الأراضي الشاسعة الممنوحة للشركات الاقتصادية، يجمعون الشهادات والتقارير بالرغم من كل العوائق، حيث بدأ التحقيق في ليبر فيل، في قضية "جود توكي

Gaud-Toqué" في سنة 1903 م، التي أثارها الصحف الأوروبية منها جريدة le matai التي أشرنا إليها أعلاه. (Catherine, Le Rapport Brazza, Rapport et documents (1905-1907), 2014)

اكتشف دي برازا الرعب في الكونغو خاصة في منطقة أوبانجي شاري، تجاوزات لا يمكن تجاهلها، غطتها الإدارة الفرنسية هناك وتجاهلتها، انتهاكات فضيعة اختطاف النساء والأطفال داخل معسكرات الرهائن حتى يجمع الزوج أو الأب الكمية المحددة من المطاط في بانجي...، ويقمن بعملية التجديف في الزوارق لوحدهن، وعندما يتوقفن بسبب الإرهاق يتم ضربهن بشدة، يتم حبس الرهائن داخل المصانع، وعندما يحضر الرجال كمية غير كافية من المطاط يتم أخذ النساء إلى بانجي، ويسجنو داخل كوخ طوله ستة أمتار بدون نوافذ ما عدا الباب، يتكدس فيه ستة وستين رهينة، ويغلقون الباب عليهم، هذا السجن مثل قبو بلا ضوء تسمم الأنفاس والفضلات، في أول 12 يوما حدثت 25 حالة وفاة، وألقيت الجثث في النهر، الطبيب الشاب الذي وصل سمع صراخا وأنيئا، فتح الباب واحتج على هذا النظام وطالب بإطلاق سراحهم، التي لم يبق منهن سوى 21 رهينة، الكثير منهن ضعفاء ومرضى لدرجة أنهم يمتن بعد إطلاق سراحهن، تعود المرأة إلى أهلها وترعى طفل آخر حيث مات طفلها الصغير وتبنت طفلا توفيت أمه...، تسير اللجنة على طريق كرامبل على جانب الطريق يرقد هيكمل عظمي فيأمر دي برازا بدفنه حسب العادة. (Catherine, Le Rapport Brazza, Rapport et documents (1905-1907), 2014)

في فورت كرامبل Fort Crampel، يكتشفون معسكر اعتقال حقيقي يتم حشر الرهائن فيه، في تقرير مسبق أرسله برازا إلى الوزير في 21 أغسطس، أعرب فيه عن قلقه: "خلال رحلتي اكتسبت شعورا واضحا أن الإدارة لم تكن على علم بالوضع الحقيقي للسكان الأصليين"، وكتب إلى صديق له: "وجدت في أوبانجي شاري وضعا مستحيلا إنه استمرار محض وبسيط لتدمير السكان الأصليين...، لم يعد لدينا شيء نحسده على البلجيكيين من حيث الوسائل المستخدمة لتلقي ضريبة المطاط، وعليه فإنه نفس إرهاب المطاط في كونغو ليوبولد (Catherine, Le Rapport Brazza, Rapport et documents (1905-1907), 2014).

حقق برازا في قضية نساء بانجي: "تم أخذ 58 امرأة وعشرة أطفال كرهائن من قبل كاتب للشؤون المحلية كولارد، لإجبار الرجال على جني المطاط لشركة دي لا لوباي"، مكتشف دي برازا عملية احتجاز رهائن أخرى 119 امرأة تم اختطافهن للأسباب نفسها، للعتور على عمالة وحمالين للشركات، وفضيحة أخرى 45 من هؤلاء النساء واثنتين من الأطفال تركوا للموت جوعا، وألقيت الجثث في النهر، وممثل الجمهورية نفسه يغطي هذه الممارسات. يطلق سراح الرهائن فقط مقابل 50 كغ من المطاط أو 10 كغ من العاج، تحول طريق النقل المؤدي من بانجي إلى تشاد إلى صحراء قاحلة، وهذا جراء هروب السكان من إرهاب الأوربيين. (Catherine, Le Rapport Brazza, Rapport et documents (1905-1907), 2014)

3- التحقيق في جرائم الكونغو الفرنسي:

حسب التقرير الذي تم نشره في جريدة la dépêche بعنوان دي برازا ضد جونتيل، في يوم الخميس 28 سبتمبر 1905 م، أي بعد أيام قليلة من وفاة دي برازا، وجه فيه دي برازا أصابع الاتهام إلى السيد جونتيل في انتهاكات ضد السود كان سببها في الكونغو الفرنسي، حيث أنه في عام 1900 م في غريبنغوي Gribingui تم الإبلاغ عن سرقة خراطيش فقام السيد جونتيل باختيار عشوائي لأحد مواطني زونغو من أصل السانغو وقتله بالسيكوت، وبعد مرور بعض الوقت تم اكتشاف الجاني، وكان أحد رجال المليشيات السنغالية اسمه مامادو فال، الذي كان مذنبا أيضا في ارتكاب جرائم أخرى، وحكم عليه بالسجن لمدة عام، مازال مامادو يعيش في السنغال ويمكن طلبه ليقدم شهادته. (Catherine, Le Rapport Brazza, Rapport et documents (1905-1907), 2014)

في نفس الوقت تقريبا ونفس المكان تم إعدام "شيا" أحد رجال مليشيا قرية البهوين الذي كانت خراطيشه ناقصة أثناء عملية تفتيش الأسلحة، فقام السيد جونتيل بالقبض عليه وتم تعذيبه، وعندما انتهت عملية تعذيبه هرب البائس إلى الأدغال وهو يئزف، ثم تمت ملاحقته وتم القبض عليه وأطلق النار عليه، واتهم رجل آخر من إحدى المليشيات من باكليي، بسرقة خرطوشة نفس وضعية شيا، وتم القبض عليه وتقييده وتم قتله تحت عذاب الشيكوت (عبارة عن سوط تثبت في نهايته أسنان فرس النهر) (Fil, 1905).

نشرت جريدة le matin يوم الثلاثاء 26 سبتمبر 1905م مقالا بعنوان برازا يتهم وجنتيل يدافع، Brazza accuse, Gentil de défend، حيث تم نشر الجزء الرئيسي للتقرير الذي وجهه دي برازا قبل بضعة أسابيع من برازافيل إلى وزير المستعمرات، وجاء التقرير كالتالي: (Stéphane, Brazza accuse gentil se défend, 1905)

" برازافيل 21 أغسطس 1905م بواسطة برقية من فورت بوسل، نتشرف بإبلاغكم أنه خلال شهر مايو 1901م كان الموظفون الذين تم توظيفهم من قبل وكيل الإدارة لجلب الضريبة العينية في الأراضي المتنازل عنها، ويتم ذلك عن طريق حجز النساء والأطفال لإجبار الرجال على الدفع، وكانت ترسل الرهائن إلى سجن بانغي، حيث توفيت في غضون خمسة أسابيع 45 امرأة وطفلين من أصل 50، كما أبلغتكم أنني سأرسل إليكم عن طريق البريد البلجيكي الذي سيسبقني الوثائق التي ستمكنك من تقدير حجم هذه القضية، في أقرب وقت ممكن، وأعتقد أنه من واجبي لفت انتباهك إلى النقاط التي أن تأخذها بعين الاعتبار، كان اختطاف النساء في القرى الأصلية يستخدم بشكل شائع كوسيلة للاستيلاء على الحماليين على طريق لورل بوسيل في فيري كرامبل، للتحدث فقط عن المنطقة التي زرتها شخصيا في الوقت الحاضر، كل شيء تم خلال زيارتي لهذه المنطقة، وقد منعتني من الدخول في علاقات شخصية ومباشرة مع السكان الأصليين، في ظل الظروف التي أحفظ بمناقشتها معك عند عودتي ...، أبلغت السيد المفوض جنتيل الحقائق والحالة التي وجدت في المنطقة. (Stéphane, les Bourreaux des Noire, 1905)

دفاعا من طرف السيد جنتيل، المفوض العام للحكومة الفرنسية في الكونغو، يحاول من خلال الوثائق أن يثبت الاتهامات التي وجهت له لا أساس لها من الصحة، وفاءً لعاداته الحيادية، فمن خلال السؤال الذي وجهته الجريدة له أمس إذا كان من المقبول له أن يجيب على الاتهامات الخطيرة الموجهة ضده، لكن تحدث لنا سكرتيه الخاص السيد بيليتير، الذي تحدث باسم المفوض العام في الكونغو، حيث أدلى بالتصريحات التالية: إنه حقا مؤلم للغاية للرجل الذي فعل الكثير من أجل الاستعمار، وخاصة بالنسبة للكونغو...، وتحدث سكرتيه السيد جنتيل عن قضية جود وتوكي، الكل يعرف تاريخ 14 يوليو 1903م، التاريخ الذي نفذت فيه عمليات الإعدام البشعة، ومع ذلك في 30 أكتوبر غادر السيد جنتيل ليبرفيل إلى فرنسا، دون أن يدرك هذه الحقائق التي حدثت في فورت كرامبل، لم يعلم بها إلا عند عودته إلى مدينة برازا في 11 ماي 1904م، وفي 08 أغسطس 1904م أحال المسألة إلى القسم، في رسالة إلى وزير المستعمرات، روى فيها السيد جنتيل القضية، واستجوب جميع المسؤولين المذنبين في ذلك...، وأضاف أنه لن يتردد في اتخاذ الإجراءات الصارمة، ... هكذا حاول التستر. (Catherine, Le Rapport Brazza, Rapport et documents (1905-1907), 2014)

قضية جود توكي كشفت الكثير من الانتهاكات الأخرى في الكونغو الفرنسي خاصة الفظائع التي ارتكبتها شركات الاحتكار التي منحت لها مساحات شاسعة من الأراضي في المنطقة وذلك بهدف الاستغلال الاقتصادي وتطوير التجارة فلجأت هذه الشركات إلى استعباد السكان وتسخيرهم وإبادتهم والأمثلة كثيرة، ففي عام 1903م غادر السيد كوبمان وكيل الشركة في باك، على يسار النهر برفقة أربعة عمال سنغاليين مع أمر جمع المطاط، وبسبب الضغط الشديد والتوتر قام العمال بقتل 21 شخصا من بينهم زعماء، وهم بدورهم قتلوا من طرف السكان انتقاما منهم، جميع العاملين في الشركة

مسلحون في لوكو، السيد جيني مدير المصنع بمساعدة السنغالي سامبا ارتكبوا أعمالاً وحشية ...، فالسكان الأصليون يهربون من القرى لعزل وأنفسهم وعائلاتهم في الأدغال، حيث شكلوا مخيمات سرية (Ngodi, 2016).

نجح المدير جورج توكيه في إغراق رجل أسود في الوادي وذنبه المزعوم سرقة بعض الخراطيش أراد استخدامها للصيد، "فرديناند جود" الملقب "نياما غودا" أي الوحش الشرس فجر سجيناً (باكبا مرشد سابق) بالديناميت وضعه في شرحه، "بيير بروش" نائب مكتب شؤون السكان الأصليين أطلق النار على اثنين من السكان دون محاكمة لأنهما هربا عندما وصل الحراس. تم تقديم هؤلاء المسؤولين الثلاثة إلى العدالة في برازافيل في أغسطس 1905م، وأدانهم المحكمة بخمس سنوات من السجن ثم خفضتها إلى سنتين. (Ngodi, 2016)

بالعودة إلى بعثة دي برازا وتقريره، ففي 14 سبتمبر (كما سبق وأن أشرنا سابقاً) انتهت في وقت أبكر مما كان متوقعا، فقد توفي في طريقه إلى الديار عن عمر يناهز 53 سنة، وبعد ذلك تم تكليف المسؤولين بصياغة التقرير بناءً على ملاحظات البعثة، لكن حسب ملاحظة كاترين كوكيري فيدروفيتش، قد حرصوا على التخفيف من الدور الضار الذي تلعبه الإدارة التي منحت حق الامتياز وأسست 40 شركة في 1898م التي شغلت الأراضي هناك مدة 30 سنة، فبنسبة لدي برازا الإدارة هي المسؤولة على الانتهاكات، لكن التقرير يدين الشركات فقط، ورفضت الحكومة نشرها بالرغم من إلحاح البرلمانيين... إلخ ففي 07 مايو 1907م تم طبع 10 نسخ تهدف إلى الحفاظ على السرية، وهذا دليل على خطورة هذا التقرير، اكتشف برازا الرعب في الكونغو خاصة في منطقة أوبانجي تشاري، فتقرير دي برازا لم يكن موجوداً أبداً منذ وفاته بينما كان يبدأ في كتابته، وتم فحص ملاحظاته والشهادات التي جمعها مساعدوه من قبل "لجنة لنسيان" المكونة من كبار المسؤولين الاستعماريين الذين أعدوا تقريراً في عام 1907م، والذي يستند على ملاحظات دي برازا، وبالتأكيد كتب بنبرة أقل قسوة مع تخفيف من خطورة الوقائع التي تم التأكيد بها. (Catherine, Le Rapport Brazza, Rapport et documents (1905-1907), 2014)

لم يتم الإعلان عن هذه الوثيقة مطلقاً، من النسخ العشر التي تم نسخها في 1907م تسع منها وضعت بخزانة الوزارة وأخرها تم منحها للوزير... وتم حضر نشرها إلى غاية مارس 2014م، حيث ظل مفقوداً لأكثر من قرن من الزمن. (Catherine, Le Rapport Brazza, Rapport et documents (1905-1907), 2014).

الخاتمة:

بعد دراستنا للموضوع توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

- أن فريسا عندما منحت الامتيازات السياسية والأراضي في الكونغو الفرنسي للشركات التجارية والاقتصادية لم ترافقها بلجنة مراقبة ولم تراقب عملها هناك، بالرغم من كون فرنسا من بين الدول المنادية في مؤتمر برلين الثاني بحقوق الإنسان ومنع تجارة الرقيق ومعاقبة ممارسيها.
- الشركات التجارية الفرنسية في الكونغو الفرنسي لم تقم باستنزاف الثروات الطبيعية والاقتصادية للمنطقة، وإنما استنزفت الثروة البشرية بتطبيقها لنظام السخرة والقتل والإبادة وهروب السكان إلى الأدغال من الأوروبيين، وتركهم لقراهم ومنازلهم وممتلكاتهم حفاظاً على حياتهم.
- غناء المنطقة بالمطاط الطبيعي والعاج كونها البيئة التي تعيش فيها الفيلة، ورواج هذه المواد في الأسواق العالمية وعائداتها المالية الضخمة، جعلت الشركات تتنافس على بيع أكبر قدر منها، فقامت بترهيب السكان وتسخيرهم ومعاقبة كل فرد لم يأتي بالكمية المطلوبة من المواد المذكورة، واستخدام النساء والأطفال كرهان للضغط على الأزواج والآباء.

- لم تكتفي هذه الشركات بسياسة الترهيب والقتل في سبيل المطاط والعاج، وإنما جعلت من السكان الأصليين وسائل للتسلية والاحتفال بأعيادهم الوطنية، عن طريق تطبيق تجار عليهم منها التفجير بالديناميت، وتحضير حساء بأجسادهم وإجبارهم على تناولها وتخمين نوع اللحم المستخدم.
- جرائم الاستعمار الفرنسي في إفريقيا هي جرائم لا يجب السكوت عنها وأن يتجاوزها الزمن فعلى فرنسا أن تعذر من هذه الشعوب وأن تعترف بجرائمها وتاريخها الشنيع ، وعلى هذه الشعوب أن تطالب بالتعويض.

الإحالات

- 1- بيري سافورنان دي برازا: ولد في 25 يناير 1852م في روما، وهو الطفل السابع لعائلة مكونة من ثلاثة عشر فردا، من عائلة نبيلة ومرموقة، عاش طفولته من خلال قصص رحلات أجداده، وكان لقاءه بالأميرال "دي مونتيناك l'amiral de Montaignac" في روما 1865م حاسما في حياته المهنية، حيث تحصل على موافقة والديه بالذهاب والدراسة في باريس عام 1866م، للتحضير لمسابقة المدرسة البحرية في بريست Brest وتم قبوله بعد سنتين، وتحصل على الجنسية الفرنسية بناءً على طلبه في 12 أوت 1874م، وفي بداية عام 1875م تحصل على رتبة مساعد قائد الباخرة، مما مكنه بعد ذلك من قيادة سفينة تابعة للدولة، وتم قبول مشروعه المتمثل في رغبته في استكشاف إفريقيا، (d'outre-mer'Archives Nationales 2011) وكان دي برازا من المستكشفين الأكثر جرأة، وأكد لفرنسا امتلاك مستعمرة أكبر من فرنسا بدون إراقة قطرة واحدة من الدماء، وبدون ميزانية مالية كبيرة، وهي الكونغو، توفي سافورنان دي برازا في 14 سبتمبر 1905م بسبب المرض في دكار عاصمة السنغال. (Joseph, 1897)
- 2- دفيد ليفينجستون David livingston مبشر بروتستانتي إسكوتلندي، من المستكشفين العظام والذين كان لهم مجد عبور القارة الإفريقية من المحيط إلى المحيط، في مدة 33 سنة في عدة رحلات متتالية من سنة 1840م إلى سنة 1873م حيث اجتاز جميع أنحاء إفريقيا الوسطى كواعظ للجمعية الإنجليز في لندن، ثم كقنصل عام للحكومة البريطانية، ومنذ عام 1840م بدأ ليفينجستون بتنصير المناطق الواقعة بين رأس الرجاء الصالح والزامبيزي واستطاع أن يكسب ود الأفارقة، حيث علمهم السلام وحب الحياة والعمل، وهذا ما مكنه من مرافقة الأهالي له في كل مكان يستكشفه، وفي سنة 1849م اكتشف بحيرة نجامي Ngami ونهر الزامبيزي ووصل إلى ديلولو وكوانغو وإلى سانت بول في لواندا سنة 1854م، وإلى شلالات فيكتوريا والزامبيزي سنة 1855م. (Gochet, 1888)

المراجع:

المؤلفات:

- 1- Archive national d'outre mers, **Sociétés Concessionnaires et Compagnie au Congo français puis en Afrique équatoriale Française 1893-1957**, FR Anom 55 APC1-49, 2016, P, 3.
- 2- Catherine, Coquery-vidrovitch, **le Congo au temps des grandes Compagnies concessionnaires 1898- 1930**, éditeur, école des Haute étude en science sociale, Paris, 2002, P, 52.
- 3- Catherine, Coquery-vidrovitch, **Le Rapport Brazza, Rapport et documents (1905-1907)**, édition, le passager, Clandestin, Paris, 2014, Pp12-32.
- 4- Joseph, Denis, Amolne, André Woulgre, **Le Congo Français et la Vallée du Kouilou**, librairie Africaine et coloniale, Paris, 1897, P, 08.
- 5- Marc, Lagana, **Le Parti Colonial Française, élément d'histoire**, presses de l'Université, Québec, 1990, Pp, 08-11.
- 6- Jules, Saintoyant, **L'Afrique du Congo 1905**, préface de Charles Andres Julien, édition, L'eri, Paris, 1960, P, 09.

7- Paul, Blaise, **le Congo, Histoire, description, mœurs et coutumes**, édition, H. Lecéneet, H. oudin, Paris, 1886, P, 153.

المقالات:

1- Fil, Spécial, « **Brazza contre Gentile** », *la Dépêche*, journal de la démocratie, 12^{eme} 28 septembre 1905, N° 13, 611, Paris, 1905, P, 02.

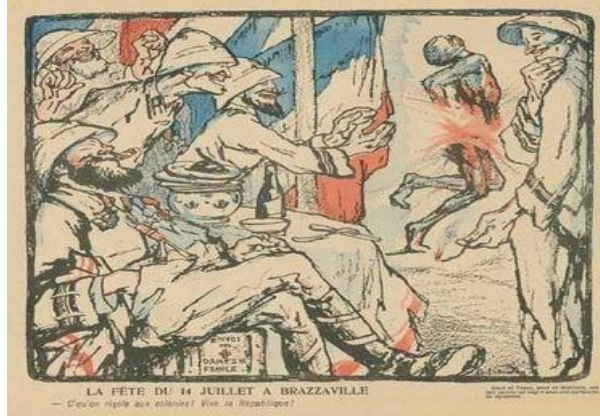
2- R. Jeaugeon, « **les sociétés d'exploitation au Congo française de 1890 à 1906** », *outre-mer*, tom, XLVIII, troisième et quatrième trimestres, Paris, 1961, P, 353.

3- Stéphane, Lauzanne, « **Brazza accuse gentil se défend** », *le Matin*, vingt-deuxième Année, N°, 7884, 26 septembre 1905. P02. Archives Nationales d'outre-mer, **Fonds Pier Savorgnan de Brazza**, 16 PA I à V, 1875-1905, répertoire numérique détaillé rédigé par, Fanny Reboul, élève conservateur du patrimoine, Aix-en-Provence, 2011, P, 1.

4- Stéphane, Lauzanne, « **les Bourreaux des Noire** », *le Matin*, vingt-deuxième Année, N°, 7662, jeudi, 16 février 1905, Paris, P, 01.

الملاحق:

ملحق رقم 1: مشهد لحفلة 14 جويلية 1903 م في برازا فيل حيث قام جود وتوكي بتفجير زنجي بالديناميت



المصدر:

L e Joyeux Cake-Walek, L'Assiette au Beurre, Les Bourreaux des Noire, N° 206, Mars, 1905

ملحق رقم 2: صورة ل جود يحضر حساء برأس أحد الزنوج في الكونغو الفرنسي



المصدر:

L e Joyeux Cake-Walek, op.cit.